

العشار الفريسي

الأب أنطوان ملكي

في النص الإنجيلي الذي قرأنا اليوم وصف لحالتين: الفريسي والعشار. ليس المقصود هنا جماعات الفريسيين والعشارين والنظرة إليهما في المجتمع اليهودي، بل حالة هذا الفريسي وحالة هذا العشار كما في المَثَل. نحن نعرف أن الفريسيين كانوا جماعة مستكبرين على غيرهم، كما يظهر من صلاة الفريسي في المثل، كانوا يمتنون الله بأنهم يصلّون ويعملون بعض الأعمال التقوية. لكن ليس كلهم. نحن نعرف أن نيقوديموس الذي أنزل الرب عن الصليب كان فريسياً. كذلك العشارون، كانوا جماعة مهمتها جمع عشور مداخيل اليهود للهيكل، لكنهم كانوا يتلاعبون بحجم العُشر بما يتناسب مع مصالحهم، لهذا كانوا مكروهين من اليهود الذين اعتبروهم خطأً. لقد رأينا هذا في قصة زكا حين قال له يسوع سوف آتي إلى بيتك، فانتقد اليهود أنه يدخل بيت خاطئ. لكن زكا أيضاً هو مثال على أن ليس كل العشارين خطأً. كما أن العشار في المَثَل هو صورة عن إنسان يعامله الكل على أنه خاطئ لكنه يسعى إلى التوبة.

لهذا، الحديث هو عن حالة الفريسي وحالة العشار، وهما حالتان كانتا موجودتين في زمان يسوع المسيح، وما تزالان موجودتين. حالة الفريسي هي الأكثر انتشاراً، حيث أن كل الناس يرون أن على الله أن يقدر لهم أنهم يأتون إلى الكنيسة ويصومون الأربعاء والجمعة ولا يقتلون ولا يزنون وغيره. حالة العشار هي أولئك الأشخاص الذين يسعون بصمت في الزاوية ليكسبوا رضى الله. لكن هناك حالة ثالثة هي حالة العشار الفريسي، أي الفريسي الذي يظن أنه في حالة العشار. هذه حالة خطيرة وهي كثيرة الانتشار بين أبناء الكنيسة، من الإكليروس والعلمانيين. هناك مطارنة وكهنة ومؤمنون يعملون في الكنيسة وآخرون دائمو الحضور في الكنيسة وكلهم يعتقدون أنهم يكذبون التوبة، فيما هم فعلياً في حالة الفريسي. لا يقبلون ملاحظة ولا يحتملون توجيهاً بل هم مرجع ذواتهم.

في الكنيسة أدوية لكل الحالات. الدواء الذي يدخل الإنسان إلى كل العلاجات هو الاعتراف. أما من هم في حالة العشار الفريسي فغالباً ما يقولون أنهم يعترفون إلى الله مباشرة. طبعاً الإنسان يعترف إلى الله، وهذا ما يقوله الكاهن في خدمة الاعتراف، لكن هذا يتم أمام الكاهن. الإنسان الذي يعترف يُخرج ما في داخله فيأخذ غفراناً عنه. علم النفس اكتشف هذا الأمر بعد الكنيسة بألفي عام تقريباً. الفرق أن الإنسان يخرج ما لديه للمعالج النفسي وذاك يبرره ويقول له لا تهتم فهذا يحدث لكل الناس. أما في الاعتراف فالإنسان يخرج ما عنده ليعطيه الكاهن حلاً من الله. الذين في حالة العشار الفريسي قد يأتون إلى الاعتراف لكن لا سعياً إلى الحل بل إلى التبرير. يأتون ليحصلوا صكّ براءة من الله. التائب

يعترف بخطيئته كما فعل العشار. أما غير التائب فاعترافه سرّد لتبرير الخطأ الذي أوقعه فيه، إما الشيطان أو أحد آخر، كما قال آدم في الفردوس "المرأة التي جعلتها معي". في اعتراف التائب يتكلم تواضعه، أما في اعتراف غير التائب فيتكلم كبرياؤه. هذا هو إنجيل اليوم الذي وضعته الكنيسة في بداية التريودي، لتقول لنا "توبوا، اعترفوا بخطاياكم، تخلّصوا منها، حتى تدخلوا في رحلة الصوم فتقطعوها وتصلون مبررين إلى نهايتها". نحن بحاجة إلى التمييز حتى لا نكون فريسيين ولا ما هو أسوأ، أي كي لا نكون فريسيين نعتقد أننا العشار. هذا التمييز لا نحصله من دون توبة ولا اعتراف. إلى الرب نطلب.

* عظة في أحد الفريسي والعشار في ١٣ شباط ٢٠٢٢